

أساليب البناء بالمغرب الأوسط على العهد الزياني (ق 7-10هـ)

مدينة تلمسان أنموذجاً.

Building Methods in the Middle Maghreb during the Zayani Era (BC 7-10 AH) The city of Tlemcen as a model.

لخضر لعربي*

المركز الجامعي نور بشير، البيض (الجزائر)

l.lakhdar@cu-elbayadh.dz

تاريخ الاستلام: 2022/12/09 تاريخ القبول: 2024/12/18

● الملخص:

إنّ دراسة موضوع الحرف بالمغرب الأوسط على العهد الزياني (مدينة تلمسان)، لاسيما المتعلقة منها بالبناء وأساليب تنفيذه يؤرخ لجانب مهم من جوانب التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للحاضرة الزيانية عبر مجال المغرب الأوسط؛ ويمتد مجال هذه الدراسة على مدى ثلاثة قرون وتيف من الزمن - وهو عمر الدولة الزيانية - حيث ظلت الفترة الممتدة من مطلع الربع الثاني من القرن السابع الهجري (633هـ/1235م)، إحدى الحلقات التاريخية المهمة في تاريخ المغرب الأوسط، شهدت خلالها مدينة تلمسان ومدن المغرب الإسلامي عاتمة تحولات سياسية، واقتصادية، واجتماعية كبيرة، انعكست نتائجها على النشاط الصناعي الحرفي. وحددنا بداية النصف الثاني من القرن العاشر (962هـ/1554م) كنهاية للدراسة، لأنّ هذا التاريخ هو تاريخ نهاية الكيان السياسي الزياني، بعد سقوط آخر ملوك بني زيان وهو الحسن بن عبد الله الثاني بن المتوكل (957-962هـ)، وبداية مرحلة تاريخية جديدة تولى زمامها العثمانيون الذين اتخذوا من مدينة الجزائر مقراً لسلطتهم.

وإنّ البحث في موضوع الحرف على امتداد هذه الفترة، وداخل النسيج العمراني للمجتمع الزياني لمن الأهمية بمكان، إذ هو يساعدنا في الإجابة عن الكثير من التساؤلات المتمحورة حول: طرق البناء وأساليبه، وأنواع الحرفيين الناشطين فيه، وعوامل ازدهاره، وتنظيمه؛ كما يساعدنا في فهم مسار الحركة الاقتصادية، وطرقها داخل العمران.

واعتقاداً منا بأهميته في المجتمع؛ وبالنظر إلى دوره في بعث الحياة الاقتصادية والاجتماعية؛ ومراعاة للمكانة التي أصبح يتمتع بها أصحاب الحرف وأرباب الصناعات لاسيما محترفو البناء؛ ومحاولة منا لإبراز بعض معالم الحضارة والعمران الزياني؛ ولأنّ منحى البحث العلمي في وقتنا الحالي يتجه نحو معالجة المواضيع المتعلقة بالاقتصاد والاجتماع البشري والعمران؛ وإذ أصبو إلى إمطة اللثام عن بعض القضايا التي لطالما ظلت مهمشة؛ ارتأينا أنّه من الواجب أن يحض هذا الموضوع بقدر من الدراسة والبحث في إطار المصادر المتاحة.

ورغم ما تكتسيه الصناعة، بصفة عامة، من أهمية بارزة في حيّز التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة الزيانية، فإنّها لم تنل نصيبها الكافي من الدراسة والبحث في الدراسات الحديثة، التي لم تتضمن سوى إشارات مقتضبة جاءت لتفكّ بعض مضمرات هذا الموضوع، وتوضح بعض الغموض الذي يكتنفه دون معالجته بشكل مستقل.

ويبدو أنّه حتى المصادر التاريخية التي ظلّت تغذي الدراسات التاريخية لعدة عقود من الزمن لم تتجاوز هذا الإشكال، فقلّما تسعفنا بنصوص تروي شغف البحث، وحتى إن وجدت فهي قصيرة جداً، باستثناء ما تضمنته مقدّمة ابن خلدون من نصوص قيمة، وغنية بالمعلومات عن الحرف والصناعات عموماً. لهذا جاءت هذه الورقة لتكشف عن أساليب البناء وتعمير المدن، كالبناء بالحجارة، والبناء بالطابية، والبناء بالآجر، واتخاذ السقوف من القرميد والزليج، وعمل الجص، ... وهلم جرا.

كلمات مفتاحية: أساليب البناء، الحرفة، تلمسان، المغرب الأوسط، العمران.

Abstract:

The study of craftsmanship in the Central Maghreb during the Zayanite era (the city of Tlemcen), especially those related to construction and methods of implementation, dates an important aspect of the Zayanite metropolis' economic and social history across the Central Maghreb area. The scope of this study extends over a period of more than three centuries, that is the age of the Zayanite state. The period extending from the beginning of the second quarter of the seventh century AH (633 AH / 1235 AD) remained one of the important historical episodes in the history of the Central Maghreb, during which the city of Tlemcen and the cities of Islamic Maghreb witnessed in general, great political, economic, and social transformations. The results of these transformations were reflected in the industrial and artisanal activity. In the present research, we identified the beginning of the second half of the tenth century (962 AH / 1554 AD) as the end of the study. It is the date of the end of the Zayanite political entity, after the fall of the last king of Banu Zayan, Al-Hassan Bin Abdullah II Bin Al-Mutawakkil (957-962 AH), and the beginning of a new historical stage in which the Ottomans took charge and made Algiers their authority seat. Regarding the ample importance of the subject that covers society in many areas, such as: economic and social life, human social and urbanization; we attempt to unveil some issues that have always been marginalized. Therefore, we consider that this topic should prompt some study and research within the framework of the available sources. Despite the prominent importance of industry in the Zayanite state's economic and social history, it did not receive the sufficient research in recent studies. On the contrary, these studies contained only brief references that came to unravel some of the implications of this topic, and to clarify some of the ambiguities that surround it without being treated independently. In this sense, even the historical sources that have been nourishing historical studies for several decades have not gone beyond this problem. They rarely help us with motivating texts for research. They are very short, except the valuable texts included in Ibn Khaldun's introduction "the Muqaddimah" with rich information in general about crafts. Thus, the present study attempts to reveal the methods of building and reconstructing cities, such as building with stones, building with bricks, building roofs with bricks, tiles, making plaster, and so on.

● مقدمة:

شكّلت الحرفة اللبنة الأساسية في المجتمعات البشرية عامةً، وفي مجتمعات العالم الإسلامي كونها المحرك الأساسي لاقتصاد الدول الإسلامية في العصور الوسطى. كما تتجلى أهميتها في احتوائها لفئات مختلفة من المجتمع، وتوفّر حاجات الإنسان اليومية الضرورية والكمالية، بالإضافة إلى تنشيطها للحركة التجارية والعمرانية، عن طريق تبادل مختلف المنتجات والصناعات وطُرُز البناء بين مختلف مدن العالم الإسلامي، مع تميّزها بطريقة العمل التي تخضع لمبادئ الدين الحنيف، وخطة المدينة الإسلامية.

وتأتي ورقنا البحثية كمحاولة لبحث جانب مهم من الحرف المتعلقة بطرق البناء بالمغرب الأوسط على العهد الزياني (مدينة تلمسان)، للتنقيب في ما هي أساليب البناء التي عرفها عهد الزيانيين بتلمسان؟ وما كفاءات تنفيذها؟ وما الوسائل المستخدمة في ذلك؟ وهل هناك ما يقع شاهداً من آثار ونحوها على وجود هذه الأساليب والطرق في البناء بعاصمة الزيانيين وغيرها؟

إنه وقبل مباشرتنا لحثيات هذه الورقة لابد من عرض بيانات وخصائص المجال الجغرافي والسياسي الذي شغلته مدينة تلمسان قاعدة المغرب الأوسط على عهد الزيانيين (633-962 هـ / 1237-1554م) وعاصمة مملكتهم.

1. الموقع الجغرافي للمدينة:

تقع مدينة تلمسان في سفح كتلة جبلية¹، تشرف عليها من الجنوب، ممتدة من الجنوب الشرقي إلى الشمال الشرقي²، وهي ترتفع عن سطح البحر بثلاثين وثمانمائة متر،³ وبينها وبين أرشقول⁴ عشرون ميلاً، وبينها وبين هنين⁵ ثلاثون ميلاً،⁶ ومن تاهرت⁷ إليها ميسرة خمسة وعشرين يوماً.⁸

وقد أشار معظم الرحالة والجغرافيين إلى أهمية هذا الموقع، فالبكري في معرض حديثه عن المدينة ومرافقها المختلفة، ذكر أنّها: "قاعدة المغرب الأوسط...، ومتوسطة قبائل البربر ومقصد لتجار الأفاق"،⁹ وقال يحيى ابن خلدون: "وهي وسط بين الصحراء والتل، تسمى بلغة البربر تلمسن كلمة مركبة من "تلم" ومعناه: تجمع، و"سن" ومعناه: اثنان؛ أي الصحراء والتل"،¹⁰ فهي إذن تجمع بين الصحراء والتل؛ أمّا الإدريسي فقال: "ومدينة تلمسان قفل بلاد المغرب، وهي على رصيف للداخل والخارج منه لا بد منها والاجتياز بها على كل حالة"،¹¹ واعتبرها ابن أبي زرع الفاسي: "باب إفريقية، ومن ملك الباب يوشك أن يدخل الدار"،¹² أمّا ابن الخطيب قال: "تلمسان مدينة جمعت بين الصحراء والريف ووضعت في موضع شريف، كأنها ملك على رأسه تاجه وحواليه من الدوحات حشمه وأعلاجه...".¹³

ولا شك أن هذه المميزات المختلفة للموضع الذي تشغله المدينة، لا تدل إلا على الموقع الإستراتيجي الممتاز، الذي يشكل نقطة وصل، وملتقى وسط الطرق والممرات الرئيسة بين الشرق والغرب من جهة وبين الشمال والجنوب من جهة أخرى.

ولم تقتصر تلمسان على ميزات الموقع الجيد فحسب، بل جمعت خصال المدينة النموذجية المتمثلة في: التّهر الجاري، والمحراث الطيب، والمحطب القريب، والسّور الحصين والسلطان؛ مثل غيرها من المدن المستبحرة في العمران في العصر الوسيط،¹⁴ وزادت عليها بمحاسن كثيرة،¹⁵ أجزل في وصفها الشعراء والأدباء.

- 1- أبو الفداء إسماعيل - تقويم البلدان - تحقيق: رينود والبارون ماك كوكين ديسلان - دار صادر - بيروت - دون تاريخ - ص 137.
- 2- عبد العزيز لعرج - مدينة المنصورة بتلمسان دراسة أثرية في عمراتها وفنونها - مكتبة زهراء الشرق - القاهرة - الطبعة الأولى - 2006 - ص 13.
- 3- الحاج محمد بن رمضان شاوش - باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - 1995 - ص 29.
- 4- "أرشقول أو (أرشقون): فرضه تلمسان على عشرين ميلاً عن تلمسان، وهي بير العدو ويقابلها مدينة المرية من الأندلس وعرض البحر بينهما درجتان". أبو الفداء - المصدر السابق - ص 123.
- 5- هنين: "بلدة نضيرة، لا كبيرة ولا صغيرة، جميلة المنظر...، موضوعة أسفل جبلين، بين بحر وشجر، يخفضها ارتفاع قلعة، دار صنعة، وأسواق موفورة، ومساجد معمورة، ولقرىها من الأندلس هي مذكورة". البلوي خالد ابن عيسى - تاج المرق في تحليله علماء المشرق - تحقيق: الحسن بن عمر السائح - مطبعة فضالة - المحمدية - المغرب - دون تاريخ - الجزء الأول، ص 148.
- 6- ابن سعيد المغربي - كتاب الجغرافيا - تحقيق: إسماعيل العربي - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - الطبعة الثانية - 1982 - ص 140.
- 7- تاهرت: "إسم لمدينتين كبيرتين إحداهما قديمة والأخرى محدثة، بينها وبين المسيلة ست مراحل، وهي بين تلمسان وقلعة بني حماد، على قمة جبل قليل العلو، وبها أسواق عامرة، ومزارع وضياع كثيرة". المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفات للإدريسي - تحقيق: محمد حاج صادق - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - 1983 - ص 110؛ أيضاً: ياقوت الحموي - معجم البلدان - دار صادر - بيروت - لبنان - الطبعة الثالثة - 2007 - مجلد: 2 - ص 7-8.
- 8- ابن خرداذبة - المسالك والممالك - تقديم: خير الدين محمود قبلواي - وزارة الثقافة - دمشق - 1999 - ص 124؛ القزويني - آثار البلاد وأخبار العباد - دار صادر - بيروت - 1960 - ص 172.
- 9- المغرب في بلاد إفريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك - نشر: البارون دوسلان - المكتبة الأمريكية - 1965 - ص 76، 77.
- 10- يحيى ابن خلدون (ت 780 هـ) - بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد - تحقيق: عبد الحميد حاجيات - المكتب الوطني الجزائرية - الجزائر - 1980 - الجزء الأول - ص 85.
- 11- القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس - مقتبس من كتاب: نزهة المشتاق - تحقيق: إسماعيل العربي - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - 1983 - ص 151.
- 12- الأئيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس - ترجمة: كارل يوحنا تور نبورغ - دار الطباعة المدرسية - أويسالة - 1843 - ص 8.
- 13- ابن الخطيب لسان الدّين السّلماني (ت 776 هـ) - معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار - تحقيق: محمد كمال شبانة - مطبعة فضالة - المحمدية - المغرب - بدون تاريخ - ص 183، 184.
- 14- ابن أبي زرع - المصدر السابق - ص 16.
- 15- ولعل هذه المحاسن، هي التي جعلت مدينة تلمسان تقع بين الفينة والأخرى في قبضة الحفصيين والمرينيين؛ حتى قيل: "ألا إنّها بسبب حب الملوك، مطمعة للملوك...". لسان الدين ابن الخطيب - المصدر السابق - ص 184.

من ذلك قول الشاعر أبي عبد الله محمد بن عمر بن خميس التلمساني¹⁶:

تِلْمَسَانُ جَادَتْكَ السَّحَابُ الدَّوَالِحُ وَأُرْسَتْ بِوَادِيكَ الرِّيَاحُ اللَّوَالِحُ.

وَسَحَّ عَلَى سَاحَاتِ بَابِ جِيَادِهَا مُلْتُ يُصَافِي تَرْبَهَا وَيُصَافِحُ.¹⁷

أيضا قول الشاعر أبي عبد الله محمد بن يوسف الثغري¹⁸:

أَيُّهَا الْحَافِظُونَ عَهْدَ الْوَدَادِ جَدِّدُوا أُنْسَنَا بِبَابِ الْجِيَادِ.¹⁹

وَصَلُّوا أَصَابِلًا بِلَيَالٍ كَلَالٍ نُظْمَنَ فِي الْأَحْيَادِ.

فِي رِيَاضٍ مُنْصَدَّاتٍ الْمَجَانِي بَيْنَ تِلْكَ الرُّبَا وَتِلْكَ الْوَهَادِ

وَبُرُوجٍ مُشَيَّدَاتٍ الْمَيَانِي بِأَدْيَاتِ السَّنَى كَشْهَبٍ بِوَادِ.²⁰

2. نظرة عن الحرف وعلاقتها بالعمران في تلمسان الزيرية:

يعتبر عبد الرحمن ابن خلدون من بين الأوائل الذين وجَّهوا اهتمامهم إلى الحرف والصنائع المختلفة،²¹ وقد خصص لها باباً كاملاً سماه: "في المعاش ووجوهه من الكسب والصنائع"،²² عرض فيه الصنائع الدارجة في المجتمع الوسيط كالحياكة، والخياطة، والفلاحة، والتجارة، والبناء، وغيرها، من التاحتين النظرية والعملية تناول فيها معلومات عديدة وتفاصيل دقيقة غفل عنها سابقوه²³؛ وتتبع هذه الحرف انطلاقاً من مرحلة التعلّم إلى قمة المهارة والتفنّن.

¹⁶ - من شعراء المائة السابعة، كان أديباً ناثراً شاعراً، كتب لغمان الأول بن يغمراسن (681-707/1235-1282م)، سنة إحدى وثمانين وستمئة، ثم خرج من تلمسان قاصداً المغرب الأقصى سنة ثلاث وسبعين وستمئة فرار عواصمه، ثم أبحر إلى الأندلس، فدخل المرية سنة اثنين وسبعمئة، ثم أقرأ العربية بحفرة غرناطة أواخر سنة سبعمئة، فذاع صيته، وضمه الوزير ابن الحكيم مجلسه إلى أن توفي قتيلاً ضحوة يوم عيد الفطر سنة ثمان وسبعمئة بقرطبة. ابن خلدون يحيى - المصدر السابق - الجزء الأول - ص 109؛ أيضا: محمد الطمار - الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - 2007 - ص 215، 216؛ المقرئ أبو العباس - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب - تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد - مطبعة السعادة - مصر - 1949 - ج 9 - ص 337؛ محمد الطمار - تاريخ الأدب الجزائري - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر - دون تاريخ - ص 129، 130.

¹⁷ - تفعيلات هذه الأبيات من البحر الطويل، وحول القصيدة بنظر: ابن خلدون يحيى - المصدر السابق - ص 86.

¹⁸ - هو أبو عبد الله محمد بن يوسف الثغري الأندلسي، أحد شعراء بلاط السلطان أبي حمو الثاني، كان معاصراً ليحيى ابن خلدون. بغية الرواد - المصدر السابق - ج 1 - ص 78؛ أيضا: -Barges (J.J.L.) - Complément de l'Histoire des Bèni Zeiyan rois de Tlemcen- Paris- 1887- P.22,24.

¹⁹ - المقرئ - المصدر السابق - ج 9 - ص 367.

²⁰ - تفعيلات هذه الأبيات من البحر الكامل.

²¹ - ويرى المؤرخ المصري المعاصر محمود إسماعيل أنّ ابن خلدون اقتبس كل نظريات إخوان الصفا ونسبها لنفسه. نشر ذلك في دراسة تحت عنوان: "نهاية أسطورة، نظريات ابن خلدون مقتبسة من رسائل إخوان الصفا". وأكد على مواقفه في مقدمة كتابه الجديد الموسوم بـ: "إخوان الصفا رواد التنوير في العلم الإسلامي". علاوة عمارة - دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي - ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر - 2008 - ص 185.

²² - ابن خلدون عبد الرحمن - المقدمة - دار الكتاب اللبناني - بيروت - لبنان - 1979 - ص 678.

²³ - إخوان الصفا والراغب الأصفهاني سبقوا ابن خلدون بقرون، وكتبوا عن الحرف، لكن ليس بالأسلوب الذي كتب به ابن خلدون، فقد راعى هذا الأخير العديد من العوامل والأحوال التي تساهم في تطوّر الحرف وكساده، وعلاقتها بما كتبتهم العمران وانتقاضه، والاجتماع البشري وضروراته، وخطة المدينة، وعلاقة الحرف ببعضها.

وعرف العصر الزباني العمل الحرفي وتقسيماته وإسهام السلطة في دعمه، فيشير يحيى ابن خلدون في إحدى رواياته إلى التخصص الدقيق الذي عرفه النشاط الحرفي في دار الصنعة السعيدة²⁴: "سوى أن دار الصنعة السعيدة تموج بالفعل، على اختلاف أصنافهم، وتباين لغاتهم وأديانهم، فمن: دزاق، ورقاح، ودزاع، ولجام، ووشاء، وسراج، وخباء، ونجار، وحداد، وصائغ ودباج...، فتستك لأصواتهم وآلاتهم الأسماع، وتحار في إحكام صنائعهم الأذهان، وتقف دون بحرهم الهائل الأبصار..."²⁵.

أما عن علاقة الحرفة بالعمران، فيرى ابن خلدون أنها بمجالاتها المختلفة رمز للحضارة، ولا توجد إلا عند أهل الحضرة، ولا تكتمل إلا بكمال العمران الحضري وكرته، لأنها مركبة وعلمية تصرف فيها الأفكار والأنظار،²⁶ بينما الفلاحة في نظره من معاش المستضعفين وأهل العافية من البدو،²⁷ الذين لا يحتاجون من الصنائع إلا البسيط المستعمل في الضروريات كالنجارة والحدادة.²⁸

ويضيف أن في كل بلد توجد الصنائع الضرورية كالخياط، والحداد، والنجار وأمثالها، ما لم يتمدن المصر، لأن هم الناس إنما هو تحصيل الضروري من المعاش كالخطة مثلا، فإذا تمدنت المدينة وكثرت فيها الأعمال، وأمنت الضروري من المعاش وزادت عليه، صرف ذلك الزائد إلى الكماليات من المعاش، وبالتالي تتزايد الصنائع وتظهر حرف أخرى جديدة، وأعمال لم تكن من قبل، استدعتها عوائد الترف وأحواله، كالجزر والدباج والصائغ ونحوها.²⁹ فإذا أصبحت المدينة مستبحرة في العمارة، آخذة في الترف والحضارة زاد قدر الصنائع ونالها التأنيق والاستجادة، وبقدر ما تزيد مظاهر الحضارة وتستدعي أحوال الترف، تحدث صنائع لذلك النوع فتوجد بذلك البلد دون غيره.³⁰

والجدير بالذكر أن هناك مجموعة من العوامل ساعدت على ازدهار نشاط الحرف في المغرب الأوسط، كتوفر مقالع الحجارة والفخار والجص، ومواد الصباغة والدهان، ومعادن الحديد والنحاس، وانتشار الغابات التي توفر الخشب، ووجود يد حرفية متخصصة وماهرة.

وبالإضافة إلى عنصر الأمن والاستقرار الذي سعى بنو زيان من عهد يغمراسن بن زيان³¹ إلى تحقيقه ولو لفترات قصيرة، فقد خاضوا لأجل ذلك العديد من الحروب والمعارك شرقاً وغرباً، وتمكنوا من فرض الأمن في البلاد خاصة بالعاصمة (تلمسان) في كثير من الأوقات، ومع هذا

²⁴ - أسست هذه الدار على عهد السلطان أبي حمو الثاني (760-791هـ/1359-1389م)، وكانت مخصصة لصناعة العدة الحربية المتمثلة في الأسلحة المختلفة. بغية الزواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد- تحقيق: بوزيان الدراجي- دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع- الجزائر- 2007- ج2- ص323.

²⁵ - يحيى ابن خلدون- المصدر السابق - ج:2- ص323-324.

²⁶ - المقدمة- المصدر السابق- ص716.

²⁷ - ابن خلدون عبد الرحمن- المصدر السابق- ص702.

²⁸ - نفسه- ص714.

²⁹ - ابن خلدون عبد الرحمن- المصدر السابق- ص714.

³⁰ - نفسه- ص702.

³¹ - هو أبو يحيى يغمراسن بن زيان، أول سلاطين بني زيان ومؤئل دولتهم، بويع يوم الأحد الرابع والعشرون لذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، وتوفي يوم الإثنين التاسع والعشرين لذي القعدة سنة إحدى وثمانين وستمائة. نفسه- ص204، 207. إسماعيل ابن الأحمر- روضة النسر في دولة بني مرين- تحقيق: عبد الوهاب بن منصور- المطبعة الملكية- الرباط- الطبعة الثالثة- 2003- ص55. تاريخ بني زيان ملوك تلمسان- مقتطف من كتاب نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيان لمحمد بن عبد الله التنسي (ت899هـ)- تحقيق: محمود بوعباد- وزارة الثقافة- الجزائر- 2007- ص111. ابن الأحمر- الدولة الزيانية بتلمسان- تحقيق: هاني سلامة- مكتبة الدراسات التاريخية- بور سعيد- الظاهر- الطبعة الأولى- 2001- ص59، 60. ابن خلدون القسنطيني- الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية- تحقيق: محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي- الدار التونسية للنشر- تونس- 1968- ص109.

الأمن تحركت عجلة الحضارة لاسيما ما تعلق بمجال الحرف، فقد ظهرت صنائع جديدة صاحبت التطور الجديد للمدينة، ومع تجدد التدخل الأجنبي (الحفصي والمريني)، كانت الدولة دائما في حاجة ماسة إلى صنّاع ماهرين من أجل ترميم وبناء ما تخرب بفعل الحصار والحروب. ونعتقد أنّ الازدهار العمراني الذي عرفته مدينة تلمسان، مع بداية قيام الدولة وإلى قبيل سقوطها قد ساهم بقسط وافر في ترسيخ الصنائع واستحكامها، فأول ملوكها يغمراسن ابن زيان (633-680هـ/1237-1283م) اهتم بالبناء والعمران؛ وأهم ما اشتهر به من المآثر إقامة الصومعتين بالجامعين الأعظمين³² بتلمسان (ق7هـ)،³³ وعرض عليه أن يكتب اسمه على الصومعتين، فرفض ذلك وأجاب بلغة البربر: "يسنت ربي" ولا شك أنّ ما أجاب به يغمراسن على الذي طلب منه كتابة اسمه على الصومعتين، إنّما يدل على بعد هذا السلطان عن التفاخر الدنيوي، وورعه وتقواه.³⁴

وقد استمرّ الاهتمام بالبناء والعمران مع بقية السلاطين الزيانيين، الذين جاؤوا بعد يغمراسن ووسّعوا خطّة المدينة، وهو ما عبّر عليه يحيى ابن خلدون يحيى: "فيها للملك قصور زاهرات اشتملت على المصانع الفائقة، والصروح الشاهقة، والبساتين الرائقة، مما زخرت عروشه، وتمت غروسه ونوسبت أطواله وعروضه".³⁵ كما أشار عبد الرحمن ابن خلدون إلى أنّ قصور تلمسان كانت في منتهى الحسن ساهم في بنائها الحدّاق من أهل صناعة البناء، واستجادوا فيها، بما أعيا على الناس بعدهم أن يأتوا بمثله.³⁶

ولم يقتصر البناء والتشييد في تلمسان على الزيانيين فقط، فتطالعا المصادر على أنّ المدينة شهدت على عهد أبي الحسن المريني،³⁷ وابنه أبي عنان³⁸ عمارات جديدة، فالأول شيد قطعة معمارية بمنطقة العباد،³⁹ العلوي اشتملت على مسجد ومدرسة وضريح وحمام وقصر؛ كما

³² الجامعين الأعظمين هما: الجامع الأعظم بأغادير، والجامع الأعظم بتاكورت، مئذنة الأول علوها أربعون متراً، ومئذنة الثاني أربعة وثلاثون متراً. عبد الحميد حاجبات، وآخرون - تاريخ الجزائر في العصر الوسيط - وزارة المجاهدين - منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث - الجزائر - طبعة خاصة - 2007 - ص 191؛ ينظر: صالح بن قربة - المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - 1986 - ص 85؛ ابن خلدون يحيى - المصدر السابق - ج 1 - ص 207.

³³ تاريخ بني زيان - المصدر السابق - ص 125.

³⁴ عبيد بوداود - "قراءة في أوقاف ومدارس وزوايا تلمسان الزيانية" - مجلة الموافق - منشورات المركز الجامعي مصطفى اسطنبولي (معسكر) - الرشاد للطباعة والنشر - سيدي بلعباس - العدد / 03 - ديسمبر 2008 - ص 42.

³⁵ المصدر السابق - ج 1 - ص 86.

³⁶ للأسف فإنّ هذه القصور قد دمّرها السلطان أبو العباس المستنصر بالله المريني (776-786هـ). العبر - المصدر السابق - مجلد 7 - ص 297. ابن الأحمر - روضة النسر - المصدر السابق - ص 45.

³⁷ هو: علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق يكنى أبا الحسن، حكم 731-752هـ/1330-1351م. ابن عماد الحنبلي - شذرات الذهب في أخبار من ذهب - تحقيق: عبد القادر أرناؤوط ومحمود أرناؤوط - دار ابن كثير - دمشق - 1406هـ - ج 3 - ص 3؛ أيضا: ابن الأحمر - المصدر السابق - ص 35.

³⁸ هو فارس بن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق وكنيته أبا عنان، ولقبه المتوكل على الله، حكم 749-759هـ/1348-1357م. ابن الأحمر - المصدر السابق - ص 37.

³⁹ العباد: "مرتفع جميل خارج مدينة تلمسان، كان مدفن الأولياء والعلماء، وفي تلمسان موضعان يعرفان بهذا الاسم، أحدهما يسمى العباد العلوي وكان بعيدا عن المدينة، والثاني العباد السفلي وكان بباب الجياد من أبواب تلمسان". البلوي - المصدر السابق، ص 149 (الهامش 17)؛ وأنظر: ابن قنفذ القسنطيني (ت 810هـ) - أنس الفقير وعز الحقير - تحقيق: محمد الفاسي وأدولف فور - مطبعة أكاد - الرباط - 1965 - ص 82، ص 93، ص 102، ص 103.

أقام داخلها مرافق عديدة ومتنوعة، كقنوات توصيل المياه، وقناطر وجسور، تسهيلاتاً لحركة السكان؛⁴⁰ ولم يكن الثاني بأقل شأنًا من سلفه ولا حاد عن سياسته في البناء والتعمير، فقد شيد حياً عمرانياً يتكون من جامع ومدرسة وضريح وميضأة، بجانب سيدي الحلوي.⁴¹

إنما أردنا من خلال ما أشارت إليه المصادر أن نتعرف على الوضع الذي بلغته المدينة من الحضارة، حيث أصبحت "أعظم أمصار المغرب، ورحل إليها الناس من القاصية، ونفقت بها أسواق العلوم والصنائع، فنشأ بها العلماء، واشتهر فيها الأعلام. وضاهت أمصار الدول الإسلامية والقواعد الخلافية"،⁴² وذلك لكون الصنائع كلها عوائد لل عمران والوأم رسخت في الأمصار لرسوخ الحضارة فيها وطول أمدتها، لذا تستحكم صبغتها وترسخ في الأجيال، وإذا استحكمت الصبغة عسر نزعها،⁴³ ولهذا نجد في بعض المدن الحالية- التي كانت مراكز حضارية في العصر الوسيط- آثاراً من تلك الصنائع في وقتنا هذا، مثلاً: تلمسان وبجاية.⁴⁴

3. البناء في المغرب الأوسط:

يعتبر البناء من الصناعات الهامة التي لا بدّ منها، لارتباطها بالجانب العمراني والاقتصادي للمدن وهي أول صنائع العمران الحضري وأقدمها.⁴⁵

وصناعة البناء هي معرفة طرق العمل في إقامة البيوت والمنازل للسكن والمأوى في المدن، لما تقتضيه حاجة الإنسان في التفكير فيما يدفع عنه الأذى من الحرّ والبرد، كبناء البيوت المغطاة بالسقف والمحاطة بالجدران من سائر جهاته، وتختلف طرق البناء باختلاف نمط العيش، فأهل البادية يميلون إلى سكنى الخيام،⁴⁶ أو الغيران والكهوف لقصور أفكارهم عن إدراك صنائع البشرية؛⁴⁷ أمّا المعتدلون والمتخذون البيوت للسكن قد يتكاثرون، فتزيد بيوتهم في الموضع الواحد، فيسارعون إلى حفظ مجتمعهم بإدارة الأسوار التي تحوطهم وتحميهم، ويصبح هذا التجمع البشري جميعاً مدينةً واحدةً يسوسهم فيها الحكّام.⁴⁸

⁴⁰ - ابن مرزوق الخطيب- المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن- تحقيق: ماريا خيسوس بيغرا- تقديم: محمود بوعباد الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر- 1981- ص 404، 406، 417، 418، 419؛ شوقي عطاء الله الجمل- المغرب العربي الكبير- المكتب المصري لتوزيع المطبوعات- القاهرة- الطبعة الثانية- 1997- ص 31.

⁴¹ - ابن الحاج النميري- فيض العباب وإفاضة قدامح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزآب- تحقيق: محمد بن شقرون- دار الغرب الإسلامي- بيروت- لبنان- الطبعة الأولى- 1990- ص 488.

⁴² - ابن خلدون عبد الرحمن- المصدر والمجلد السابقان- ص 161، 162.

⁴³ - ابن خلدون عبد الرحمن- المقدمة- المصدر السابق- ص 716.

⁴⁴ - بجاية: مدينة عظيمة على ضفة البحر يضرب سورها، وهي على جرف ولها من جهة الشمال جبل يسمى أميسول، وهي قاعدة المغرب الأوسط، بها معادن الحديد والخشب الوفير. الحميري عبد المنعم- الزوض المعطار في خير الأقطار- تحقيق: إحسان عباس- مكتبة لبنان- 1975- ص 81؛ كاتب مراكشي من القرن السادس الهجري- كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار (وصف مكة والمدينة، ومصر، وبلاد المغرب)- تحقيق: سعد زغلول عبد الحميد- دار النشر المغربية- الدار البيضاء- المغرب- 1985- ص 128، 129، 130.

⁴⁵ - ابن خلدون عبد الرحمن- المقدمة- المصدر السابق- ص 724.

⁴⁶ - ابن خلدون عبد الرحمن- العبر- المصدر السابق- المجلد 7- ص 3.

⁴⁷ - ابن خلدون عبد الرحمن- المقدمة- المصدر السابق- ص 425.

⁴⁸ - نفسه، والصفحة ذاتها.

وفي هذا النطاق الأخير تختلف أحوال البناء وأساليبه، بحسب ما يتعارف عليه أهله ويصطلحوه على قدر الغنى والفقير، فمنهم من يتخذ القصور الكثيرة الدور، يبنى جدرانها بالحجارة أو الآجر ويلحم فيما بينها بالكلس، ويبالغ في تزيينها بالأصباغ والنقوش وضروب من الصناعة مختلفة ومنهم من يكفي ببناء البوَّيت لنفسه وولده لا يتجاوزهُ إلى ما سواه لقلّة ماله.⁴⁹

أما عن المواد المستخدمة في البناء فكانت الحجارة المجلوبة من مقالع الحجارة التي لم تكن بعيدة عن مدينة تلمسان؛ وكان الحمالون ينقلونها عن طريق الدواب، والآجر والقرميد والزليج الذي كان يصنعه الفخّارون عند باب القرمادين، وباب العقبة، والجصّ الذي كان يجلب من أفران الجيار بالإضافة إلى الرّخام، والخشب، والطّين، والرّمل، والحصباء؛ أمّا وسائل الإنجاز فكانت الفؤوس والمطارق، ومثاقب الحديد، والمقاييس، والقوالب الخشبية، والمراكز المستعملة في الدّك، والمخال (البكرة)، إلى جانب اليد العاملة من مهندسين وحرفيين مهرة.⁵⁰

وكانت عملية البناء في العصر الزّياتي تتمّ وفق أساليب وطرق مختلفة، ولها محترفون متخصصون فيها، وذلك حسب طبيعة البناية وأهميتها ووظيفتها الدّينية، أو السياسية، أو الاجتماعية، ولعلّ أهم الأساليب التي أمكننا رصدها والتّعرف إليها ما يلي:

3.1. البناء بالآجر والحجارة:

تعتمد على مواد أساسية هي الحجارة أو الآجر، والكلس، والقرميد، والخشب لإقامة السّقوف، واشتدّ الإقبال على هذه المواد بصفة خاصة في بناء القصور، والأسوار العالية، والمآذن والأبراج. وأشار ابن خلدون إلى هذه التّقنية فقال: "...، فمنها البناء بالحجارة المُنجّدة أو بالآجر يقام بها الجدران ملصقًا بعضها إلى بعض بالطّين والكلس الذي يعقد معها فيلتحم كأنها جسم واحد".⁵¹

وفي المصادر التاريخية ما يشير إلى استعمال هذه المواد، في البنايات المعمارية الزّياتية بتلمسان بل إنّها كانت مستخدمة حتّى من قبل الموحيدين والمرابطين، حيث يذكر أحد المؤرخين: "...، ولم يزل عمران تلمسان يتزايد، وخطتها تتسع، والصّروح بها بالآجر والقرميد تُعالى وتُشاد، إلى أن نزلها آل زيّان، ...، فاخطوا بها القصور المونقة والمنازل الحافلة، واغترسوا الرّياض والبساتين وأجروا خلالها المياه، فأصبحت أعظم أمصار المغرب...".⁵²

وتعد صومعة الجامع الأعظم بتلمسان من الآثار الباقية الدّالة على هذا التّوع من البناء، فقد كانت قاعدتها أو أساسها من حجر مرّضوم مجلوب من المبانى والمقابر الرّومانية،⁵³ والملاحظ على الجزء العلوي أنّه بُني من الآجر كله، ويشكّل الآجر زخرفة نحتية ذات سطحين تثري الواجهات الأربعة للصومعة وزيّنت المشبكات بلمسة ملونة من قطع فخّار مطلي. بالإضافة أنّه يبدو مبدئيّا أنّ كامل البناية كسييت بطلاء

⁴⁹ - نفسه، ص 726.

⁵⁰ - لخضر العربي - "موارد الصناعة الحرفية في المغرب الأوسط 6-9/12-15م" - الناصرية - العدد: 1 - المجلد: 9 - جوان 2018 - منشورات جامعة معسكر - مطبعة الرشاد - سيدي بلعباس: الجزائر - ص 331-350.

⁵¹ - المقدّمة - المصدر السابق - ص 726.

⁵² - ابن خلدون عبد الرحمن - المصدر والمجلد السابقان - ص 161، 162.

⁵³ - مارسيه - مدن الفن الشهيرة: تلمسان - ترجمة: سعيد دحماني - دار النّشر التّل - البليدة: الجزائر - 2004 - ص 40.

من الجبس، ومواقع مدهونة باللون القسطلبي المحمر غطت أحيانا أرضية البناية.⁵⁴ وصومعة المسجد الأعظم بتكرارت⁵⁵ تتشابه وهذه الصومعة، لأن كليهما بنيتا في عهد يغمراسن بن زيان ابتداءً من سنة 665 هـ/1266م،⁵⁶ لذا كانتا على نفس النسق المعماري.

واستخدم الآجر والحجارة في أغلب البنايات الزيانية، لاسيما قلعة المشور حيث أنّ أسوارها كلها من الحجارة تتخللها في بعض الأحيان حبات من الآجر، وكذلك مسجد المشور ومئذنته كلها من الآجر، وقاعات قصر السلطان أغلب جدرانها من الآجر، أما الأساسات فكانت من الحجارة، وإلى غير ذلك من البنايات.

3.2. البناء بالطابية:

والطابية مادة بنائية بسيطة التركيب، استخدمت في عمل أسوار المدن وبناء الدور المتواضعة وقد عمّت هذه التقنية معظم مدن المغرب الإسلامي، التي وسّعت من استعمالها، ويبدو أنّ السبب في ذلك خواصها الطبيعية والفيزيائية، حيث أنّها "أشدّ من الحجر، ولا تعمل فيها المجانيق ولا تؤثر فيها"،⁵⁷ بالإضافة إلى وفرة المواد المكونة لها في العديد من المناطق القريبة من المدينة.

ويطلق على محترف هذا النوع من البناء اسم: "الطوّاب"، والطابية نوع من الخرسانة (*Béton*) بالمعنى الحالي، فهي تتكون من جملة مواد: فالطين، والرمل، والحصى، والجير، وبقايا الفخار والخزف المدقوق،⁵⁸ بنسب متكافئة، وهذا الخليط من الخرسانة أو الطابية، يتحول بعد أن يجف ويتصلب إلى حجر شبه اصطناعي شديد الصلابة والمتانة،⁵⁹ لا تؤثر فيه ضربات المجانيق لشدة التحام وتماسك المواد المكونة له.

وكانت أسوار تلمسان في وضع من المتانة والقوة ما أمكنها من الصمود أمام آلات الحصار الضخمة، وقنابل المجانيق، حتى لقد خيبت في عدّة مرات آمال السلاطين المحاصرين لها ووقفت دون بلوغهم المدينة.⁶⁰

أما عن طريقة البناء بالطابية والوسائل المستخدمة فيها، فعمدنا في ذلك ابن خلدون، الذي تناول هذا الجانب مع كثير من التفاصيل والأوصاف الدقيقة التي يقوم بها الحرفي؛ فأول الخطوات هي إعداد الطوّاب للقلب، وهو على شكل صندوق خشبي يتكون من ألواح أفقية وعمودية مقدّرة طولاً وعرضاً، وكان طول القلب المتوسط أربعة أذرع (ما يعادل 2 متر تقريبا)، وعرضه ذراعان (حوالي 1 متر)،⁶¹ والقلب

⁵⁴ - نفسه - والصفحة ذاتها.

⁵⁵ - تكرر: هي القسم الحديث من تلمسان المعروف بالمحلة أو المعسكر الذي بناه المرابطون حول المدينة القديمة "أغادير" بعد السيطرة عليها في نهاية القرن الخامس الهجري. وأصبحت تشكل المدينتين معا (تكرارات مع أغادير) فيما بعد مدينة تلمسان بعد أن ضمها سور واحد. خالد بلعربي- تلمسان من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الزيانية- دار الألمعية للنشر والتوزيع- قسنطينة: الجزائر- 2011- ص43.

⁵⁶ - تاريخ بني زيان- المصدر السابق- ص125؛ ابن خلدون يحيى- المصدر السابق- ج1- ص207.

⁵⁷ - العنبري ابن فضل الله أبو العباس أحمد (ت749 هـ)- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (ممالك اليمن والغرب الإسلامي وقبائل العرب)- تحقيق: حمز أحمد عباس- الإمارات العربية المتحدة - أبوظبي- الطبعة الأولى- 2002- ج4- ص179.

⁵⁸ - مارسى- المرجع السابق- ص39، 57؛ ابن خلدون- المقدمة- المصدر السابق- ص727.

⁵⁹ - Komara (A)- *Matériaux et Eléments de Constructions*- Moscou- 1978- p-174، 175. وينظر: عبد العزيز لعرج - المرجع السابق- ص 245، 246.

⁶⁰ - من ذلك أن أبا يعقوب المريني ردّ الغزو عليها مرّات، وكانت أسوارها المنيعة تصدّه فيقف دونها عاجزا، فقد غزاها سنة 689 هـ وحاصرها مدة 16 يوما ناصبا عليها المنجنيق ثمّ عدل عنها، وتكرّر ذلك في سنوات: 695، 696، 697، وأخيرا سنة 698 هـ، أكبر الحملات التي انتهت بالحصار الطويل، الذي شدد فيه السلطان على مداخل المدينة ومخارجها، وأقام عليها معسكرا إلى الغرب منها، وتحول المعسكر فيما بعد إلى مدينة عامرة سميت بالمنصورة. ابن خلدون- العبر- المصدر والمجلد السابقان- ص 453-456. ابن خلدون يحيى- المصدر السابق- ج1- ص219.

⁶¹ - ابن خلدون- المقدمة- المصدر السابق- ص726؛ وينظر أيضا عن القلب وأجزائه: Doat (A) et autres- *Constructions en terres*- paris-1983- p.38.

ككل يتألف من دفتين لكل واحدة منهما أربعة ألواح مستطيلة طويلة، ويصل بين الدفتين في طرفيهما ألواح أخرى في العرض يحدد بها سمك السور أو الحائط الذي يُراد بناؤه.⁶²

وكان الطّواب بعدما ينتهي من عملية بناء الأساس بالحجارة، ينصب القالب عليه في نفس سمكه، فيضع ألواح القالب "ويوصل بينهما بأذرع من خشب يربط عليها بالحبال والجُدُل، ويسدّ الجهتان الباقيتان من ذلك الخلاء بينها بلوحين آخرين صغيرين، ثم يوضع فيه التّراب مختلطاً بالكلس، ويُركّز بالمراكز المعدّة لذلك، حتّى ينعَم رُكُزُهُ ويختلط أجزاؤه بالكلس، ثم يزداد التّراب ثانياً وثالثاً إلى أن يمتلئ ذلك الخلاء بين اللّوحين وقد تداخلت أجزاء الكلس والتّراب وصارت جسماً واحداً. ثم يعاد نصب اللّوحين على الصّورة الأولى، ويُركّز كذلك إلى أن يتمّ وتنظم الألواح كلها سطراً فوق سطرٍ، إلى أن ينتظم الحائط كله ملتحمًا، كأنه قطعة واحدة، ويسمّى الطّابية وصانعه الطّواب".⁶³

ومن خلال نصّ ابن خلدون يبدو لنا أنّ البناء بالطّابية كان يمرّ بالمراحل التالية:

- حفر الأساس وبنائه بالحجارة.
- نصب القالب مباشرة على الأساس وتثبيتته بالحبال والأذرع بشكل جيد.
- تحضير خليط الطّابية (الخرسانة).
- إفراغ خليط الخرسانة على امتداد القالب، ثم دكّها بالمراكز.
- تكرير العملية حتّى يمتلئ القالب تماماً.
- ينزع القالب، وينصب مرّة ثانية وتكرّر العملية هكذا سطراً فوق سطرٍ حتّى يستقيم الحائط جسداً واحداً.

3.3. صناعة الجصّ (الجبس):

يدعى محترفها بالجصاص،⁶⁴ وهي من أجمل وأجلّ الأساليب التّزيينية في البناء، وتعتمد على مادة الجبس التي كانت تتوفر عليها الكتل الجبلية المحيطة بتلمسان، حيث الصخور الجيرية والكلسية،⁶⁵ ويبدو أنّ هذه المواضع كانت بها مقالع تعمل على تزويد أفران الجيار⁶⁶ بالجبس الخام والجير، وفي هذه الأفران يقوم الحرفيون بتفتيت وطحن حجر الجبس، ثم يطهى المسحوق الناتج فيها، وبعد ذلك يعبأ في الأكياس وينقله الحمالون على ظهور دوابهم إلى ورشات البناء بالمدينة. وانتشر استعمال هذا الأسلوب الفنّي في أغلب مدن ومناطق العالم الإسلامي، لاسيما في العمارة الدّينية كالمساجد والزّوايا، وفي المباني السّلطانية، والقصور، والدّور الفسيحة.

⁶² - ابن خلدون - المصدر السابق - والصفحة ذاتها.

⁶³ - نفسه - ص 726، 727.

⁶⁴ - إخوان الصفا - المصدر السابق - ج 1 - ص 312.

⁶⁵ - Lawlesse (R.I) et Blake (J.H)- *Tlemcen: Continuity and Change in Algerian Islamic - Town-* Bowker : London- 1976- p.p.11-14.

⁶⁶ - قرب تلمسان من الناحية الشمالية. ابن خلدون يحمي - المصدر السابق - ج 1 - ص 209.

وفي العهد الزياني من خلال بعض البنايات يتجلى لنا ذلك التميز والثراء في الفن الإسلامي بالمغرب، وفي العناصر الزخرفية المختلفة والألوان، والتناسق والانسجام، ولا أصدق من هذا التعبير سوى المعاينة المباشرة، والنظرة المتمعنة فيما بقي من لوحات الجص الفنية المتفرقة في عدد من الآثار الزيانية المعمارية الباقية إلى يومنا هذا.

وقد بلغ الجصاص التلمساني الغاية في هذا النوع من الصنائع، في قصور ودور بني زيان، وتمكن من ملء السقوف والجدران من الأسفل إلى الأعلى بزخارف متنوعة، هندسية ونباتية، وكتائية. وكان الجصاص يستخدم أساليب عديدة لتنفيذ زخارفه على الجص، منها الزخرفة باستخدام القوالب الجصية، وفيها يقوم الحرفي بصب الجص وهو في شكل عجينة ليئة في قوالب منقوشة أعدت خصيصاً لذلك الغرض؛ ويضغط على الجص وهو في تلك الحال من الليونة لطبع الأشكال البارزة على القالب، ثم ينزع الجص المشكّل بالقوالب بعدما يجفّ، ويُكلى على الجدران عن طريق عجينة الجصّ، ثم يعمل على تزيينها وتزويقها بالألوان.⁶⁷ والطريقة هذه لم تعرف إقبالاً كبيراً في بلاد المغرب عامة، لعدة اعتبارات منها: أنّ هذا الأسلوب ظهر بالشرق وشهد رواجاً كبيراً بتلك البيئة، لكن لم يصل منه إلى المغرب إلا بعض المؤثرات القليلة؛ وحال بُعْد المسافة دون تنقل بعض من تلك المهارات الفنية.⁶⁸

وتعرض ابن خلدون إلى طريقة أكثر دقة وواقعية، استخدمت في تنفيذ الأعمال الجصية الزخرفية، وهي تختلف عن الطريقة السابقة، تميز بها الجصاصون في الغرب الإسلامي وساهموا في انتشارها حتى كانت مفضلة عما سواها؛ ويقول في هذا الصدد: "ومن صناعة البناء ما يرجع إلى التّزيين والتّزيين، كما يصنع من فوق الحيطان الأشكال المجسّمة من الجصّ، يخمر بالماء ثم يرجع جسداً وفيه بقية البلل، ويشكّل على التّناسب تخريماً بمثاقب الحديد إلى أن يبقى له رونق ورّواء".⁶⁹

والطريقة هذه تعتمد على اليد، وهي في غاية الدقة، وتقتصر على عجينة الجصّ بتثبيتها على الجدران على وجه مسطح وبعد أن تجفّ قليلاً، يشرع الحرفي في زخرفتها بما يليق لها من أشكال وزخارف وغيرها، عن طريق مثاقب الحديد وبعد تمام عملية النقش والتّحريم والحفر "يبدو الحائط كأنّه قطع الرّياض المنمنمة، ويختلف الصّناع في ذلك باختلاف الحذق والبصر".⁷⁰ وشاع استخدام هذه التقنية في مختلف أنواع المعمار الزياني في القصور والرباط والمقابر والمساجد والمدارس، كما في قصر المشور ومسجد أبي الحسن التنسي ومسجد المشور. بالإضافة إلى استخدامها لدى بعض الأعيان وكبار التجار وميسوري الحال.

⁶⁷ - محمد عبد المنعم ماجد - الحضارة الإسلامية - دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية - 2003 - ص 314.

⁶⁸ - نفسه - ص 318.

⁶⁹ - المصدر السابق - ص 726. ويشير الونشريسي إلى رجلين عُرفا بصناعة البناء والحذق بعمل الجصّ، وهما ابن مرزوق الخطيب وعمره أبو عبد الله محمد، فيما نقله من وصف مسجد العباد عن الخطيب: "... لوئت قبلته وذهبت واشتملت على النقوش والصنائع المستظرفة، ... وكان إنشاء تلك البنية بما اشتملت عليه على يد العمّ الصالح أبي عبد الله، وعلى يدَيّ". - المصدر السابق - ص 403-404؛ الونشريسي أحمد بن يحيى (ت 914 هـ) - المعيار العرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب - تخريج: جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي - دار الغرب الإسلامي - بيروت - 1981 - ج 2 - ص 461، 462.

⁷⁰ - ابن خلدون - المصدر السابق - ص 728.

4. 3. التبليط بالزليج (التزليج):

يعتبر الزليج مادة معمارية وفنية، يدخل في تبليط الأرضيات وتكسية الجدران، ويشتمل على نماذج عديدة من الزخارف والألوان؛ وللزليج تأثير كبير في ترطيب المنازل والغرف في فصل الحرّ فضلاً عن قيمته الجمالية،⁷¹ ويسمى القائم على تركيب أو صناعة الزليج بـ"الزّلاج". ولمّا كانت تلمسان دار ملك الزيانيين، شهدت حركة عمرانية واسعة انطلقت من عهد يغمراسن بن زيان الذي ابتنى الصومعتين بالجامعين الأعظمين وقصر المشور؛ واستمرت هذه الحركة مع بقية بنييه وأحفاده كأبي تاشفين الأول، وأبي حمو موسى الثاني، اللذين أبدعا في بناء عدة مرافق عمرانية، ومن هنا لا بدّ أن تكون هذه البنايات قد زينت بالزليج والبلاط الذي كان يصنع بأفران القرمادين، وبالخزف الذي كان يصنع بأغادير.⁷²

وما يشهد على ذلك أشكال وأنواع وألوان مختلفة لبساطات من الزليج الزياني الأصلي التي لا تزال تغطي الكثير من المواضع بقصر المشور المرمم، وقد حوفظ عليها في مواقعها، وهي تجمع بين الجمال الرائق ونسق التنفيذ الرائع وبراعة الحرفي. كما تضمنت الأشكال الزخرفية الهندسية والنباتية خاصة النجمة السليمانية ومشتقاتها (النجمة الثمانية) ونجدها في معظم وحدات قلعة المشور بما تضمنته من وحدات كالمسجد والقصر الملكي.

5. 3. التسقيف بالقرميد:

تختص مادة القرميد بتغطية سقوف المنازل والمساجد، والقصور؛ وكانت لها مصانع بالمدينة عرفت بالقرمادين، أهم مراكزها عند باب العقبة، وباب القرمادين الذي اختص بهم.

ويقوم الحرفي بصناعته من مادة الطين، وبعدما تجفّ يقوم بحرقه على طريقة طهي الأواني الفخارية بعد ذلك تطلى بالألوان المختلفة، كان أكثرها انتشاراً الأحمر والأخضر اللامع الذي كثيراً ما كانت تغطي به سقوف المساجد والمدارس والأضرحة، وضعا على هيكل السقف المصنوع من الخشب.⁷³

4. نماذج لبعض الأبنية بتلمسان:

ومن الأهمية بمكان أن نتناول بعضاً من الأبنية الزيانية حتّى نقف على ما اشتملت عليه من صناعات البناء، وما جمعتها أشكالها من صفات التّقن والتّجميل والجمال:

⁷¹ - محمد عبد المنعم ماجد - المرجع السابق - ص 202.

⁷² - محمد الطّمّار - تلمسان عبر العصور: دورها في سياسة وحضارة الجزائر - تقديم: عبد الجليل مرتاض - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - 2007 - ص 38، 122. ولا زالت مفذنة مسجد أولاد

الإمام تحتفظ بقطع من الزليج بيضاء وسمرّاء وخضراء؛ كما تتميز مفذنة مسجد المشور بقطع من الزليج ذي البريق المعدني خضراء وبيضاء في منتهى الجمال.

⁷³ - بن رمضان شاوش الحاج محمد - المرجع السابق - ص 322.

1. 4. القصور: يذكر ابن خلدون أنّ قصور تلمسان كانت بديعة الحسن، شيدها أبو حمو الأول،⁷⁴ وابنه أبو تاشفين، وهي: "قصر أبي حمو"،⁷⁵ و"دار السرور" و"دار الملك" و"دار أبي فهر"،⁷⁶ واستظهروا على ذلك بأعداد كبيرة من الأسرى بين نجارين، وبنّائين، وزلاّجين؛ وزوّاقين واستدعي لها الصّناع والفعلّة كذلك من الأندلس، حيث بعث إليهم السلطان أبو الوليد⁷⁷ بالمهرة والحدّاق. وللأسف فإنّ هذه القصور قد اندثرت ولم يبق منها سوى قصر المشور.

والمشور عبارة عن قلعة تقع في جنوب المدينة، على شكل مستطيل يبلغ طوله أربعمئة وتسعون متراً في عرض مائتين وثمانين متراً، وقد شيّدت في نفس المكان الذي أقام به الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين معسكره في الوقت الذي حاصر فيه أغادير؛⁷⁸ أمر ببنائه يغمراسن بن زيان، وأتخذ مقرّاً للملك وداراً لسكناه، أنزل به أهله وحاشيته، ورجال دولته؛ وفيه كانت تستقبل الوفود من الأمراء، والسفراء، والأحلاف؛ كما كان مركزاً للاحتفال والمديح في المناسبات السعيدة.

ولم تذكر المصادر تاريخ تأسيس هذه البناية بالضبط، ويبدو أنّه شرع في بنائه بعد الانتهاء من بناء صومعة المسجد الأعظم بقليل، التي أصبحت تشرف على باحة القصر،⁷⁹ الأمر الذي جعل حريم السلطان والقصر ككل عرضة لنظرات المتطفلين كالمؤذن وغيره، وبالتالي ارتأى هذا الملك ضرورة تغيير مقر سلطانه ببناء قلعة المشور.

وفي سنة 717هـ/ 1317م، قام أبو حمو موسى الأول بإضافة بناية جديدة للمشور تمثّلت في مسجد خاص بالأمراء ورجال الدولة والأعيان، يؤدون فيه صلاة الجمعة والصلوات الخمس،⁸⁰ وبُني هذا المسجد كلّه بمادة الآجر ومادة لاحمة كالإسمنت، وفرشت باحته بنوع من الزّليج متعدد الألوان، أبيض، وأزرق سمائي، وأزرق قاتم، وزيّن إطارها بجملة من التشكيلات الهندسية البيضاء بخلفية ذات لون أزرق سمائي، ولعله كان يتوفر على نافورة رخامية في وسطها، حيث نلاحظ وجود مكان في وسط الباحة خالي ومحفور توجد به بعض الأحجار. وأسفرت الحفريات الأخيرة بالمشور على وجود العديد من الآثار المختلفة، أروعها اكتشاف عدة قاعات، ومجموعة من الغرف مبلطة بالزّليج والفسيفساء؛ بالإضافة إلى جملة من القنوات الفخارية التي كانت تصرف المياه المستعملة؛ وأعمدة رخامية؛ وقطعة من رحي يدوية؛ وشقّف لأواني فخارية؛ ترجع كلها إلى العصر الزياني، حفظت بمسجد المشور الذي أصبح الآن عبارة عن متحف.

⁷⁴ - هو أبو حمو موسى الأول بن عثمان، تولى مقاليد الحكم سنة 727هـ، وقتل على يد ابنه عبد الرحمن المكنى بأبي تاشفين الأول يوم الأربعاء 12 جمادى الأولى 718هـ، في طائفة من بطانته منهم بنو الملاح. تاريخ بني زيان- المصدر السابق- ص 138.

⁷⁵ - بناه بوادي نخل من وادي شلف، ولعلّ القرية المسماة اليوم "بعمي موسى" بولاية غليزان استوحت اسمها من قصر أبي حمو موسى الذي كان بالمنطقة. ابن خلدون- المصدر السابق- المجلد 7- ص 212؛ تاريخ بني زيان- المصدر السابق- ص 137.

⁷⁶ - نفسه- ص 140.

⁷⁷ - هو أبو الوليد إسماعيل ابن فرج الغرناطي، بوع في 12 ذي القعدة 713هـ، وتوفي مقتولاً في 26 رجب 725هـ. ابن الخطيب لسان الدين التلمساني (ت 776هـ)- الإحاطة في أخبار غرناطة- تحقيق: محمد عبد الله عنان- مكتبة الخانجي- مصر- الطبعة الثانية- 1973- مجلد 1- ص 142؛ وينظر أيضاً: ابن خلدون- المصدر والمجلد السابقان- ص 297؛ تاريخ بني زيان- المصدر السابق- والصفحة ذاتها.

⁷⁸ DHINA Atallah- Le Royaume Abd-Eloadid à l'époque d'Adou Hammou Moussal^{er} et d'Abou Tachfin I^{er}- office des publications universitaires- Alger- édition n°01- 1985- p32- راجع كذلك: يحيى بوعزيز- "المراحل والأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد"- الأصالة- العدد : 26- رجب- شعبان 1395هـ / جويلية - أوت 1975- مطبعة البعث- قسنطينة- ص 9.

⁷⁹ - مارسى- المرجع السابق- ص 41.

⁸⁰ - عبد العزيز فيلاي- تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية)- المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية- الجزائر- 2007- ص 115. وينظر أيضاً: Brosselard (ch)- "les inscription arabes de Tlemcen: Mosquée du Méchouar"- in Revue Africain- N°22- Mai 1860- p.247.

ويذكر الوزان أن قلعة المشور كانت محاطة بأسوار مرتفعة جدًا، وبها القصر الملكي الذي كان خاصًا بالسلطان الزياني، وقصور أخرى لم يذكر عددها، وإنما أشار إلى أنها بنيت بأسلوب معماري متقن، وفي رابع⁸¹.

ومن خلال تلك الآثار يتبين لنا أن القصر الملكي كان متميزًا عن غيره من بقية القصور والدور، بمهندسته المعمارية وضروب الصنائع التي عملت به، من الرخام والمفصص (الفسيفساء) الملون والزليج، الذي كان يغطي الأراضي والقاعات، والأفنية، وغرف الاستقبال كالغرفة الشرفية والرياض المنتشرة، ونافورات الماء الرخامية، فضلاً عن المساحة التي كان يشغلها. ولكن لم يبق اليوم من روائع هذه البناية سوى السور الذي ما تزال جدرانه شاهقة، والمسجد المذكور، وبعض الجدران والأساسات، والقاعات المكتشفة تحت الأنقاض.

2. 4. المساجد: أسس الزيانيون العديد من المباني الدينية منها: المذنتين بالجامعين الأعظمين ومسجد أولاد الإمام، ومسجد سيدي إبراهيم المصمودي، ومسجد سيدي أبي الحسن؛ وهذا المسجد الأخير سُمي باسم العالم الشهير أبي الحسن بن يخلف التنسي⁸²، أسس على عهد أبي سعيد عثمان بن يغمراسن بن زيان، وهو يقع في الجهة الغربية من الساحة العامة، التي يجتمع بها التلمسانيون لتبادل الأخبار اليومية.⁸³ وحسب نص التّحسيس فإنه بني سنة 696 هـ/1296 م ليكون أجره وثوابه للأمير أبي عامر إبراهيم ابن السلطان أبي يحيى يغمراسن بن زيان.⁸⁴

ويبلغ طول المسجد 10 أمتار، وعرضه 9.70 متر، ويحتوي على بيت للصلاة مكونة من ثلاث بلاطات عمودية على جدار المحراب، تحدها صفان من أعمدة الرخام تعلوها تيجان من أجمل تيجان العالم الإسلامي. ومحرابه مشكاة سداسية الأضلاع، شبيهة بمشكاة الجامع الكبير بتلمسان وهي مكلّلة بقبة مزينة بمقرنصات رائعة الرّونق، محاطة بإطار تجري عليه كتابة بالخط اللّين، يرى تحته ألواح مستطيلة مؤنثة بأقواس مذبذبة تعتمد على عميدات من الجصّ أنيقة إلى حد بعيد وبنائق هذه الأقواس مزينة بأنواط تدرج فيها عبارة "العزّ لله"، وهي من روائع الفن الإسلامي.⁸⁵

3. 4. المدارس: عرف العهد الزياني بناء ثلاث مدارس تعليمية، مدرسة أولاد الإمام أمر ببنائها أبو حمو موسى الأوّل بعدما تخلص من المريني أبي يعقوب يوسف واستقلّ بأمر المغرب الأوسط عرفت بالمدرسة القديمة، وعين هذا السلطان الأخوين ابني الإمام أبي زيد عبد الرحمن، وأبو موسى عيسى⁸⁶ مدرسين بها.

⁸¹ - المصدر السابق - ج2 - ص20.

⁸² - أبو الحسن بن يخلف بن عبد السلام التنسي: "من كبار العلماء العاملين، معظم عند الملوك والعامة، ذو ورع شديد، وتصرف في الرسالة بين ملوك المغرب والمشرق، فأنجرت بها إليه التهمة من ملوك تلمسان أيام الحصار الأوّل، فخرج إلى السلطان أبي يعقوب (المريني) فبالغ في برّه واحتفائه، فأصبح فقيه حضرة في حدود أوائل المائة الثامنة، إلى أن مات وقبره بالعباد". ابن خلدون يحيى - المصدر السابق - ج1 - ص144؛ ابن مريم الملقب بالمديوني التلمساني أبو عبد الله محمد (ت1014 هـ) - البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان - تقديم: عبد الرحمن طالب - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - 1986 - ص123.

⁸³ - Tlemcen- Collection " Art et culture " -le Ministère de l'Information- Altamira-Rotopres- Madrid (Espagne)- 1971-p.37.

⁸⁴ - Brosselard (ch) - " Mosqué Abou L HACEN " - in Revue Africaine- N°15- fivrier1859- p.162, 163.

⁸⁵ - رشيد بورويّة - "الحياة الفنّية في عهد الزيانيين والمرينيين" - ضمن كتاب: الجزائر في التاريخ - تعريب: محمد بلغراد - ص496.

⁸⁶ - ابن خلدون يحيى - المصدر والجزء السابقان - ص130؛ ابن خلدون عبد الرحمن - المصدر السابق - مجلد 7 - ص206، 207؛ تاريخ بني زيان - المصدر السابق - ص139.

والمدرسة اليعقوبية أسسها أبو حمو موسى الثاني سنة 765هـ/ 1363م على ضريح والده أبي يعقوب⁸⁷ وأخويه السلطانين أبي سعيد وأبي ثابت،⁸⁸ ويذكر صاحب زهرة البستان معلومات هامة حول الأوصاف المعمارية لهذه المدرسة حيث يقول: "أمر (أبو حمو موسى الثاني) أن يشرع بإزاء روضته (أبي يعقوب)، مدرسة لقراءة القرآن والعلوم، وأن ينفق فيها من الحلال المعلوم ووضعت في أبداع الموضوعات، سمكها بالأصبغة مرفوع، وبساط أرضها بالزليج مرسوم وحيطانها بالصناعة مؤشآت، وزليج أزهارها من أبداع الشيات، ...، وضع فيها صهريجا مستطيلا وعلى طرفيه من الرخام، ...، فيا لها من بناية ما أبهجها، ...، وأحسنها شكلاً وأجملها، أقامها في اليسير من الشهور والأيام، ...، وأوقف لها الكثير من الأوقاف وأجريت للطلبة فيها المراتب على أصناف."⁸⁹

أما المدرسة التاشفينية فهي أشهر مدارس تلمسان،⁹⁰ أمر بإنشائها أبو تاشفين الأول بإزاء الجامع الأعظم،⁹¹ وقد وظّف هذا السلطان كل أنواع الصنائع في هذه البناية وجلب لها الصنائع على اختلاف أصولهم ولغتهم؛ إن هذه المدرسة تدل بحق على ذلك التطور في الفن المعماري الزياتي الذي ظهر بكامل لمعانه في أواسط القرن الثالث عشر.⁹²

وذكر جورج مارسلي أنها بقيت قائمة تزاوّل وظيفتها إلى سنة 1873م، حيث أقدمت قوات الاحتلال الفرنسي على هدم إحدى "بدائع الدنيا"⁹³ بحجة تهية ساحة عامة (عرفت بساحة الجزائر)، وبناء دار بلدية تلمسان، وبعد تأسّف عميق يضيف مارسلي أنّ المدرسة كانت متميزة من حيث التنظيم، والجمال، فضلاً عن الإبداع؛ فقد لعب التّلبط بالخزف دوراً هاماً في تجهيز محيطات الأبواب، ورصف القاعات، وكان يتقدّم مصلى المدرسة لوحة من المرمّر مغطاة بزخرفة ضفيرية نباتية رقيقة.⁹⁴

وما زالت قطع فسيفساء المدرسة التاشفينية تزّين زوايا عدة متاحف، منها حشوة من المفصّص بزخارف هندسية ونباتية متعدّدة الألوان بالمتحف الوطني للآثار القديمة،⁹⁵ وقطع أخرى بمتحف تلمسان البلدي، وبتحف كولوني بباريس.⁹⁶

هذا بالإضافة إلى عدّة معالم عمرانية شيّدها بنو مرين بتلمسان كمدينة المنصورة ومسجدها ومدرسة العباد التي تتميز بمسجدها ذو الباب البرونزي، والمدخل المزين بالجلس، ومحرابه، وقبته وسقوفه، وجدرانها المعشّقة بالزخارف؛ ومسجد سيدي الحلوي الذي يشبه مسجد العباد في عدّة نواحي.

⁸⁷ أبو يعقوب ابن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن، مال إلى حياة الزهد والعبادة، توفي سنة 763هـ من أوائل شهر شعبان (1361م)، ودفن بباب إيلان. ابن خلدون يحيى - المصدر السابق - ج 1، ص 235/ج 2، ص 228.

⁸⁸ تاريخ بني زيان - المصدر السابق - ص 179، 180. حكما في فترة واحدة (749-753 هـ / 1348-1352 م). نفسه - ص 154.

⁸⁹ صابرة خطيف - فقهاء تلمسان والسلطة الزياتية الجهاز الديني والتعليمي - (633 - 791 هـ / 1235 - 1388م) - مذكّرة ماجستير - قسم التاريخ: كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة - 2003 - 2004 - ص 311؛ محمد مشنان - "المؤسسات العلمية الثقافية في تلمسان الزياتية" - نشر على شبكة الانترنت: 2009/12/27، ص: 2 وما بعدها. tablat.ahladalil.com/t4203-topic

⁹⁰ رشيد بورويّة - المقال السابق - ص 498.

⁹¹ تاريخ بني زيان - المصدر السابق - ص 141.

⁹² -Christian Heck- Histoire de l'art : Moyen Âge Chrétienté et Islam- Editions Flammarion- Paris- 2005- p.511.

⁹³ المقرّي - نفع الطّيب - المصدر السابق - ج 8 - ص 156، 157.

⁹⁴ مدن الفن - المرجع السابق - ص 54، 55.

⁹⁵ الجزائر - القطعة رقم : II. 42 c.

⁹⁶ محمود بوعباد - جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري (15م) - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر - 1982 - ص 82. W. Et G. Marçais- Les

خاتمة:

ولا شكّ فإنّ بعض المعالم الأثرية التي ما تزال قائمة بمدينة تلمسان، وبالرغم مما أصابها من التلف في بعض أجزائها، فإنّها بلغت غاية الأهمية، إذ أنّها ساعدتنا في التعرّف على أنواع النشاطات والحرف، وطريقة إقامتها، واستعمالاتها، وحجم انتشارها. وبالتالي مكّنتنا من بناء تصوّر قريب عمّا كانت عليه في الماضي، وهي بذلك تكشف عن واقع البناء والحرف المتعلقة به على العهد الزياني بدقة وموضوعية. كما تكشف عن عبقرية البناء وتطور هندسة المعمار المدني والسلطاني والعسكري، وإدخال أساليب علمية في التخطيط والتنفيذ والتنسيق انطلاقاً من مادة المجال الطبيعي والجغرافي، وقد تجلّى من خلال تقنيات وأساليب البناء المتطرق لها صفات أمتت عن أن مدينة تلمسان كانت قاعدة السلطان الزياني بالمغرب الأوسط، فقد أبانت المدينة من خلال الوظائف التي تأثّلت بها (السياسية، والعسكرية، والاجتماعية، والاقتصادية، والعمرانية) عن الدور الريادي الذي تمثله المدينة العاصمة والحاضرة المستبصرة في العمران. هذه المدينة التي كانت وما تزال "قفل بلاد المغرب"⁹⁷ و"باب إفريقية، ومن ملك الباب يوشك أن يدخل الدار"⁹⁸ لذلك كانت على مرّ مراحلها التاريخية محلّ أطماع منافسيها من جهة الشرق والغرب.

إنّما أردنا في هذه المحاولة، ومن خلال ما أشارت إليه المصادر من معطيات تاريخية، وثّقتها الآثار الباقية اليوم عن تلك الحقب التاريخية الخالية، حاولنا أولاً أن نتعرّف على الوضع الذي بلغته المدينة من الحضارة، حتى أصبحت "أعظم أمصار المغرب، ورحل إليها النّاس من القاصية، ونفقت بها أسواق العلوم والصّنائع، فنشأ بها العلماء، واشتهر فيها الأعلام. وضاهت أمصار الدول الإسلامية والقواعد الخلافية"⁹⁹ ثمّ دور العنصر البشري ذو الملكة المعمارية في رسم معالم حضارة المدينة الزيانية عامة والعاصمة قاعدة السياسة والملك بصفة خاصة، تلك الملكة التي راعت الرفاهية الحرارية، والجمالية، والراحة النفسية داخل المعمار الزياني عامة مدنياً كان أو سلطانياً.

⁹⁷ - القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس - المصدر السابق - ص 151.

⁹⁸ - ابن أبي زرع الفاسي - المصدر السابق - ص 8.

⁹⁹ - ابن خلدون عبد الرحمن - المصدر والمجلد السابقان - ص 161، 162.